مقاربة الخطوة ـ خطوة

في مقابل المهتمين بمحاولة اعادة صوغ صنع القرار الاميركي بمجمله، هناك خبراء السياسة الحائمون، اليوم، حول ادارة بوش، والذين يسعون الى التأثير في صنع القرار بصورة غير مباشرة. لذا، فطابع كتاباتهم ينصبّ على السياسة الشرق اوسطية في جانبها «التنظيري». وبالطبع، ليس المجال، هنا، لذكرهم جميعاً، ولعرض تصوراتهم في كل ميدان، انما التركيز على بعض الاقطاب الذين يعبرون، بصورة أو بأخرى، عن اتجاهات اساسية في التأثير في صنع هذه السياسة.

ولعلّ روبرت هانتر، الذي شغل، بين العامين ١٩٧٩ و١٩٨١، مناصب عدة تتعلق بشؤون الشرق الاوسط، ليس اقلّها اهمية مجلس الامن القومي، احد أهم هؤلاء الذين تتميز كتاباتهم بالبعد «التنظيري» للامور، والذين تميزوا بمواقف تكاد تكون متفرّدة، خلال الفترة الماضية. فهو الذي صاغ «مبدأ كارتر» بشأن قوات التدخل السريع في الخليج لتشديد الهيمنة الاميركية في تلك المنطقة الغنية بالموارد النفطية، وكان، دائماً، احد الدعاة المتحمسين الى اعادة نظر الولايات المتحدة في علاقاتها، حتى مع العرب «المعتدلين»[٣٢].

وقد اعطى هانتر، في مقالة هامّة له، شعوراً محدثاً لهذه المواقف، بقوله ان التاريخ الدبلوماسي الاميركي في الشرق الاوسط طبعه، اساساً، اسلوبان عريضان: أولهما يعرف بـ «الشامل» الذي سعى الى تأمين مخطط لحل جميع النزاعات الكبرى القائمة؛ وثانيهما الاسلوب الذي اطلق عليه «الخطوة ـ خطوة»، وهو يستوجب التقدم، ببطء، من قضية الى أخرى، بأمل ان يؤدي تفكيك النزاع العام الى مصادره الاولية التي يتألف منها، ممّا يجعل اي واحد منها اكثر مطواعية، بحيث ان النجاح في موقع ما يخلق حوافز للتقدم الى مواقع اخرى[٣٣].

ويبدو ان النهج الاخير هو الأكثر اثارة لديه، حيث لاحظ ان النجاحات الدبلوماسية التي تحققت، حتى يومنا هذا، جاءت نتيجة اتباع هذا الاسلوب، بينما بقيت التنظيرات المؤيدة للحل «الشامل» هدفاً للعديد من الدبلوماسيين الذين يرون ان هذا الحل يوفر اساساً متيناً لتمثيل مصالح جميع الاطراف في المفاوضات، الامر الذي يحصر مهمة الكل باستهداف النجاح. وأخذ هانتر على هذا الاسلوب عدم كفايته، والسبب ؟ ان هنالك اطرافاً رفضت، من حيث الأساس، الانخراط فيه، ولا يتوقع اي تغيّر في هذا السياق.

في تقويم كهذا، تظهر، جلياً، دعوة الكاتب الى تبنّي الحلول الواقعية على صعيد الجبهة الاسرائيلية ـ الفلسطينية المنفردة، وعبر ترتيبات انتقالية، مع تأجيل الحل الشامل الذي لا بد لسوريا والاردن ولبنان ومصر المشاركة فيه لاحقاً. ومن خلال تأجيل الحل الشامل، دون التراجع عنه، يتمّ تأجيل تناول العنصر السوري الاكثر تعقيداً في حلقة هذا الحل، حسب رأي هانتر. كذلك من خلال تأجيل التسوية النهائية يتمّ تأجيل عقد المؤتمر الدولي برعاية اميركية ـ سوفياتية، بينما يتمّ تنفيذ اسلوب «الخطوة ـ خطوة»[٣٤].

وفي طيّات تجنّب الحل الشامل في مؤتمر دولي اعتبارات يشكّل بعضها تحولاً جوهرياً في السياسة الاميركية المعتمدة في السنوات الاخيرة الماضية. واستخلص هانتر النتائج السياسية لهذا التحوّل بقوله: «على مدار السنوات القليلة الماضية، انحصرت البدائل العملية للدبلوماسية، بالنسبة الى الارض المحتلة، باثنين يعرفان، اختصاراً، ' الارض مقابل السلام' و ' الحكم الذاتي' . للأول